ادعاءها الرؤية الشمولية يبقى محض رؤية خاصة بها، لهذا ألحّ هندليس على ضرورة توفر رؤية بنيوية في النظرة إلى العالم:

«لن نتعرض هنا للمشكلة التي يطرحها تحديد مفهوم النظرة إلى العالم في علاقته بمفهوم الإديولوجيا (هذا المفهوم الذي غالباً ما يؤخذ كمرادفٍ له (. . .) ولكنتفِ بالقول إننا نتبنى التمييز الذي يجعل المفهومين يتقابلان بشكل جدلي، فنأخذ الإديولوجيا على أنها تعبير عن مصالح معينة «محددة لمجموعة ما» **«والنظرة إلى العالم على أنها تعبير بنيوي وظيفي عن المكانة النسبية التي تحتلها جماعة داخل جماعة أوسع منها»**[24].

وفي اعتقادنا أن الأدوار الفردية التركيبية تلعب دوراً أساسياً في بناء الرؤى للعالم من هذا النوع، بعد أن تكون مختلف التصورات الإديولوجية قد صيغت سلفاً في الحقل الفكري العام لواقع اجتماعي محدد. وبعبارة أخرى نقول إن استقلالية الإديولوجيا عن الواقع الاجتماعي والمصالح الطبقية تبلغ حدها الأقصى في منظومات الرؤى للعالم التي يُساهم في بنائها الأفراد بما يبلغونه من «وعي» عند تأملهم لمختلف الأنماط الإديولوجية، ولمختلف المكونات الثقافية لعصرهم.

وقد أوضح كارل مانهايم نفسه هذا المدلول من خلال تمييزه بين المفهوم الخاص للإديولوجيا، ويقصد به ذلك المفهوم الذي اعتبرناه ذا طابع سياسي حيث تتحكم سيكولوجيا المصالح على التطلع المعرفي، وبين مفهوم عام تكون غايته تحليل مجموع المصالح الواقعية المتضاربة ذاتها للوصول إلى رؤية شمولية. وفي إطار توضيح المفهوم الكلي والشمولي للإديولوجيا ركز كارل مانهايم على الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفرد «ما دام الفرد لا يضع المكانة الاجتماعية التي يشغلها على طاولة التشريح ولا يستفسر عن الأُسُس المادية لتلك المكانة، وإنما يعتبرها مكانة مطلقة ويفسر أفكار وآراء المعارضين له بكونها مجرد وظيفة للمكانات والمراكز الاجتماعية التي يحتلونها، فإن الخطوة الحاسمة التي يجب أن يخطوها إلى الأمام لم يتم القيام بها بعد»[25].

بمعنى أن الفرد بإمكانه أن يتجاوز ذلك فينظر إلى نفسه وإلى إديولوجيته باعتبارها واحدة من الإديولوجيات، وهو لذلك يرى أن الشكل العام للإديولوجيات هو ذلك الذي يصدر عن المحلل الشجاع الذي يُخْضِعُ وجهة نظر المعارض ووجوهَ النظر الأخرى، ومن ضمنها نظرته الخاصة، إلى التحليل الإديولوجي.

---

(24)) هندليس: **مفهوم النظرة إلى العالم وقيمته في نظرية الأدب**، ص 63.

(25)) كارل مانهايم: **الإديولوجية والطوباوية**، ترجمة د. عبدالجليل الطاهر، مطبعة الرشاد، بغداد، 1968، ص 154 - 155.